ففي سنة ١٩٢٠ وفي حين كان يرى « التحريفيون » ان التصادم مع العرب لا مفر منه، كان « الاشتراكيون » يفكرون بان هؤلاء قد يغادرون بملء ارادتهم · فالمعتدلون كانوا متفائلين، في حين كان المتطرفون غير متوهمين ، فالاوائل كانوا ـ كما يهمهم مثلهم الاعلى ـ يعيدون في اذهانهم وفي اقوالهم خلق واقع خيالي او يتماشى مع « اعتدالهم » · والاخيرين كانوا « واقعيين » · حتى ان اسحاق بن اهارون الذي كان امين عام الهستدروت ، والذي كان يدشن الذكرى الخمسين لهذه المنظمة في القدس سنة ١٩٧٠ ، لم يتمالك عن تقديم تحية الى قوة الرؤية لدى هؤلاء الرواد الذين تجرأوا على تجاهل الشروط التي كانت تحيط بهم ·· لان الايديولوجية الصهيونية التي كانت تجمع حركة الهجرة والاستيطان اليهوديين في فلسطين قبل ايجاد دولة اسرائيل ، كانت تقوم على يوتوبيا عملية تجمع بين التطوع المندفع والبراغماتية الباردة · حتى ان التطوع والبراغماتية يجتمعان ويتقاطعان ، مولدتين الاعتدال والبحث عن المساومات احيانا ، والعناد والعزم على المواجهة احيانا اخرى · وهذه الصورة تبرز اليوم بمناسبة كل مناقشة عامة في اسرائيل ، حول موضوع العلاقة مع العرب : اذ يتواجه نوعان متناقضان من « الواقعية » · من يوافقون على ان الصهيونية هي اجحاف بحق العرب ولكنهم يلوذون بقانون الغاب والانانية المقدسة للنوع ، وهم « الصقور » · وفي مواجهتهم يقف « الواقعيون » الذين يشيرون باصابعهم الى ميزان القوى في المنطقة وفي العالم ، ويستنتجون بان المساومة ضرورية · واخيرا يوجد من هم غير مبالين بهذه « الخناقات » وهم « المثاليون » المواهمون ، وهم من ينكرون ببساطة وجود حقوق عربية ، وان يكون الاستيطان قد حرمهم اياها ·

والمابام وهو جناح يوصف بالماركسية في الصهيونية العمالية ، ينتمي لهذه المفصيلة الاخيرة · خاصة وان هاشومير ـ هاتسعير ، وهي الحركة التي خرج منها المابام « تنظر » لهذا الموقف منذ سنة ١٩١٠ · ففي حين كان الاستيطان « العمالي » في المدن او في الارياف، يلحق الاضرار الفادحة بالفلاحين وبالمحرومين من الارض ، وفي حين كان كبار ملاك الاراضي يضاربون ، كانت هاشومير ـ هاتسعير تقول بأنه لا يوجد اي تناقض بين الصهيونية « العمالية » والمصالح « الحقيقية » للجماهير العربية · لذلك فان النزاع من هذه الزاوية ، هو نزاع بين « اشتراكية » المستوطنين و « الاقطاعية الرجعية » لقادة العرب · وهذا الرأي بالكاد يقبل بأن يكون اليمين الصهيوني ، والرأسماليين الذين يشغلون اليد العاملة العربية « اعداء » طبقيين لمستخدميهم ، وان كان الامر كذلك ، فما على هؤلاء الا الانضمام الى صفوف المابام ، ليدافع عن مصالحهم ! ·

ذلك ان المابام يرى ، كما يقول دوف بارنير ، (الازمنة الحديثة ، حزيران ٦٧) ان الصهيونية ليست فقط الحركة القومية للشعب اليهودي « ولكنها » الحل الماركسي للمسألة اليهودية · ومن هنا ، فكل كل عربي « ماركسي » حقيقي لا بد له من مناصرة الصهيونية· ومن هنا ايضا فان الصراع مع العرب ليست له ايضا اية قاعدة موضوعية وهو لا يمكنه ان يفسر الا بالكراهية الشوفينية والمعادية للسامية تجاه العرب · او بمحاولة الاستغلال السياسي البوليسي للعرب ·

وما يميز هذه الخرافات ، هو هذه العنصرية التي تحرم العرب ، وعرب فلسطين بالذات ، من هذا البعد ـ الوعي القومي ـ الذي لا ينفك الصهاينة من التغني به فيما يخصهم · فالقومية العربية ، تقدم على انها مرض عقلي في حين ان كل شيء يفسر بالاقتصاد · اما « التطلعات اليهودية » فانها في الان نفسه ماديا ممكنة ومعنويا راقية ·